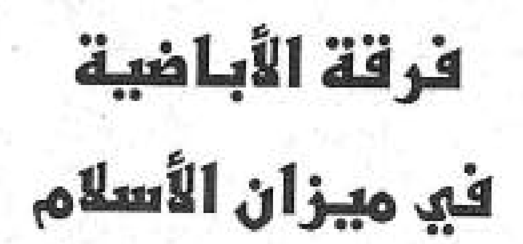


فرقة الأباضية
في ميزان الأسلام



إعـــداد

جمال محمد سعيد عبد الغنى

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة .

كلية أصول الدين جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة .

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين الكافرين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وتسليماته، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،

بعد أن بلّغ خاتم النبيين رسالته على أكمل وجه توفاه الله تاركاً أمته وهي وحدة واحدة في العقيدة والفروع ، فقد بين لهم دين الله القويم وصراطه المستقيم ، فآمن به من وفقهم الله فنالوا السعادتين في الدنيا والآخرة ، خصوصاً الذين شهد لهم النبي ﷺ بأنهم من أهل الجنة فبشرهم بذلك ، وهذا من منطلق تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولكن البعض أبى الانصياع داخل الأمة الواحدة فعاودوا الحنين إلى الفُرقة وقلدوا أسلافهم من الأمم التي مضت ، وقد تنبأ لهم النبي ﷺ حيث قال :

(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم) (١)

وكما قال ﷺ في حديث آخر عن أنهم سيتفرقون فرق عديدة :

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة) (٢)

---

(١) صحيح البخاري / كتاب الاعتصام بالسنة .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ﷺ وانفرد أبو داود بتلك الزيادة في آخر الحديث { ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة } .

وبالفعل تحقق قول النبي ﷺ في تفرقهم إلى فرق عديدة ، كان أكبرها الشيعة والخوارج والمرجئة وغيرهم فرق عديدة انشقوا من تلك الفرق الأصلية ، وكتب عنهم بعض علماء الأمة مثل أبو الحسن الاشعري في المقالات ، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ، والشهرستاني في الملل والنحل وابن حزم في الفصل ، وغيرهم كثيرون كتبوا ووضحوا للأمة مدى انزلاق تلك الفرق في الهوة التي بعدتهم عن كتاب الله وسنة النبي ﷺ وما سار عليه أصحابه من فهمهم الكتاب والسنة .

وفي هذا البحث أعرض لفرقة تسمى الإباضية ؛ لنعرف شيئاً عن حقيقتها من خلال نشأتها وتاريخها ومدى علاقتها بالفرق الكبرى ، ثم نذكر بعضاً من معتقداتهم ومدى موازنة ما سبق ذكره بميزان الإسلام ؛ حتى يمكننا الحكم عليهم حكماً حيادياً من خلال ما ذكروه عنهم ، والله أعلى وأعلم .

تمهيد .

لكي يمكننا التحدث عن فرقة الإباضية فمن الجدير بمكان أن نذكر التمهيد التاريخي الذي يروي الأحداث التي مهدت لظهور هذه الفرقة ٠

ولا يفوتنا أن نتابع هذه الأحداث بدقة وبحيطة ، ونذكر أن تداخلها في هذه الفترة يجعل من الصعوبة بمكان تقسيمها إلى مراحل محددة يمكن القول أنها تعتبر نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أنه قد أشتهر أن فرقة الإباضية تعد من فرق الخوارج، وقد ذهب البعض بالقول : " إلى أن ظهور الخوارج ترجع بداياته إلى عهد رسول الله ﷺ حيث ظهر خارجون عليه لم يرتض بعضهم حكمه وواجهه بعضهم الآخر بالمعارضة " (٣)

وهذا رأي مبالغ فيه ، أما المعنى العام فنقول إن : الخوارج هي كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان .) (٤)

وسوف يتضح من خلال هذا البحث تحديد البدايات الصحيحة لهذه الفرقة، وهى الخوارج وما ترتب عليهما من ظهور فرقة الإباضية .

وبادئ ذي بدء نحب أن نتحدث من زمن وفاة النبي ﷺ فعندما انتقل النبي ﷺ إلي الرفيق الأعلى وجد المسلمون أنفسهم إزاء مشكلة جديدة بعد أن اختلفوا في حقيقة وفاة النبي ﷺ ، وقد حسم تلك المشكلة الصديق أبو بكر رضي الله عنه بكلمته المشهورة : (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن

(٣) الدكتور عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية / الجزائر ١٩٧٨ طاولي ج١ ص٣٤
(٤) الشهرستاني / الملل والنحل ج١ مؤسسة الحلبي .

كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت) إن رب محمد حي لا يموت وهو المعبود بحق وقراءته آية آل عمران ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .﴾ آل عمران ١٤٤.

ثم إن هذه المشكلة الجديدة التي وجد المسلمون أنفسهم إزاءها ، وهي مشكلة الإمامة ولمن يكون أمرهم وما هي أسس اختياره ، ومع ذلك : فلم يطل أمر هذا الجدال طويلاً وما لبث المسلمون أن اتفقوا على أن يتولى أبو بكر الصديق ﷺ أمر المسلمين ، كما أن الأحداث التي واجهها المسلمون على عهده وعهد ثاني الراشدين شغلتهم عن الخلاف ووحدت جماعتهم وانطلقت جيوشهم تفتح البلاد وتدك العروش وتنشر الإسلام .

ثم جاء بعد ذلك عهد ثالث الراشدين عثمان بن عفان ﷺ فرضي المسلمون عنه في أول عهده ، ثم أنكر بعض المسلمين عليه أموراً جدت مما ترتب عليها اختلاف الناس في حكمه وما قام به من أفعال كان أبرزها ولاؤه لأقاربه وتعيينهم ولاة على بعض الأمصار وثراء هؤلاء الأمراء أكثر من عهودهم السالفة ، وقد غالى البعض في إنكارهم على عثمان ﷺ فاستحلوا دمه ، وأثاروا عليه الأمصار ، وكثرت الفتنة وانتهت بمقتلة ، فأثار قتله أكبر فتنة في تاريخ الأمة الإسلامية ، وكانت تلك الفتنة هي أول ما واجه على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ رابع الراشدين عندما ولي أمر المسلمين ، ثم إن أمر الفتنة قد تزايد مع تداخل الأحداث ، وبذلك تصدعت وحدة الدولة وأصبح على بن أبى طالب ﷺ ومن بايعوه في جانب ، ومعاوية بن أبى سفيان ﷺ ومن والوه ولم يدخلوا في بيعة علي ﷺ لأنهم لم يرضوا بإمامته في جانب آخر ،

وترتب على ذلك معركة صفين فاتسعت الهوة والفرقة بين الفرقتين فزادت بذلك وحدة الخلاف والشقاق وتوالت الأحداث باضطراب مثير ولجأ المتقاتلون للتحكيم ، ورغم ذلك أدى التحكيم إلى انفراج الموقف أكثر مما كان عليه من قبل فازدادت الفتنة واحتدم الصراع مما ترتب عليه انقسام أتباع علي ﷺ إلى مَنْ يشيعونه ومَنْ لا يرضون بالتحكيم فخرجوا عن مشايعته والولاء له فسُمُّوا خوارج .

وكان هدف الخوارج من وجهة نظرهم هي عودة الخلافة تحت لوائهم بعيداً عن بني أمية ، خصوصاً معاوية بن أبي سفيان ﷺ .

وقد قوي شأن الخوارج وكثر أتباعهم ، مما ترتب عليه نشوب مواجهات مسلحة بين الجانبين الخوارج وعلي ﷺ في معركة النهروان ، ورغم ذلك إلا أن هذه المعركة لم تحسم الأمر بل وسعت من حدة الخلاف ، وظهورهم مرة أخرى وكثرتهم في الأمصار ، رغم أن ما تبقى من تلك المعركة تسعة نفر فقط ، وهذا ما سنوضحه في موضعه بإذن الله .

ورغم أن أمر الخلافة قد انتهي بعد مقتل علي بن أبي طالب ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلا أن ذلك لم يقعد بأولئك القوم ، بل على العكس من ذلك فقد أدى إلى اشتداد حركتهم وازدياد أتباعهم كما ظهر بينهم أصحاب آراء مختلفة ، كان لكل منهم منهجه في فهم الأحداث وتفسير الوقائع واستخلاص الأحكام ، كما كان له أيضاً أسلوبه في الدعوة ومنهجه في جمع الأتباع وسبيله في حشد المؤيدين ، ومن بين هؤلاء تلك الجماعة (المحكمة) التي أعلنت قولها (لا حكم إلا لله) وهؤلاء هم الخوارج .

والأحداث التي أدت لظهور هذه الفرقة فترة حرجـة أحداثـها متداخلـة أخبارها مضطربة ، فالذي يتعرض لرواية أحداث هذه الفترة بالذات يجـد نفسه بإزاء حشد مضطرب متناقض في الأخبار التي تُروى عـن كـل موقف بأسلوب مختلف عن الآخر ؛ لأن كثيراً من الأخبار تتلون بنظـرة راويها ، وتتأثر به حيث يصورها بأن يضيف إليها أو يحذف منها ، وقـد يبتعد عنها ابتعاداً على نحو يهدف من ورائه إلى تأييد رأيه وتأكيد مذهبه. وقد كثر في هذه الفترة المذكورة أن بلغ الأمر برواة الأخبار عـن تلـك الفرق أن نسبوا للنبي ﷺ أحاديث كاذبة هدفوا من ورائها تأييد مذهبـهم وإثبات صحته وأيضاً إبطال ما عليه معارضوهم .

قال الإمام محمد عبده :-

(توالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفـة الرابـع مـا عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين غير أن بناء الجماعة قد انصدع وضعفت عرى الوحدة بينهم وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم ، وكـانت نشـأة الاختراع في التأويل والرواية وغلا كل فريق ، فافترق الناس إلى شـيعة وخوارج ومعتزلة وغلا الخوارج في عهد مـروان الأول فكفّـروا مَـنْ عداهم ثم استمر عنادهم وطلبهم لحكومة أشبه بالجمهورية وتكفيرهم لمـن خالفهم زمناً طويلاً إلى أن تضعضع أمرهم على يد المطلـب بـن أبـى صفرة ، وانتشروا في بلاد المغرب فأشعلوا فيها الفتن وبقيت منهم بقيـة إلى اليوم في أطراف أفريقيا وناحية من جزيرة العرب . (٥)

(٥) الإمام الشيخ محمد عبده رسالة التوحيد ط دار الهلال ١٩٨٠ ص٢و٣.

فهذا هو تطرفهم في الحكم على الغير من مخالفيهم بالكفر مفرقين بذلك بين ديارهم وديار غيرهم بأن الأولى دار إسلام والأخرى دار كفر ، فنرى الخوارج يكفرون من عداهم من المسلمين وهم أول من أطلق كلمة الكفر ، والكفر على مخالفيهم حتى حكم للأزارقة والصفرية بأن ديار مخالفيهم ديار كفر من أقام فيها فهو كافر . (٦)

قصة المحكمة .

ذكرنا فيما سبق أن آثار التحكيم لم تكن تضعف جانب علي بن أبي طالب ﷺ وتقوي من شأن معاوية ﷺ بل أن التحكيم كان له الأثر الكبير في إحداث الفرقة في صفوف وجند علي ﷺ ، فرقة اشتدت وتضاعفت بصورة تثير الشجون ذلك بأن جماعة من المحكمة قد ظهرت في صفين على إثر قبوله التحكيم ، وقد ارتفعت أصوات تلك المحكمة تعلن رفضها وغضبها إثر قبوله التحكيم ، ورغم أن المصادر التاريخية تؤكد أن علياً قبل التحكيم رغماً عنه إذ أنه كان رافضاً ، وكان يستشعر الخديعة من القوم ، وقد قامت محاجات كلامية بينهما ـ أي بين المحكمة وعلي ـ فكانوا يقولون : إن التحكيم خدعة ، وهل هناك تحكيم في شرع الله ؟

وإذا قبل بقبول التحكيم ففيم كانت الحرب وكان القتال ؟

وهكذا اشتد النقاش وكثر الجدل فلما أن بلغ التحكيم نهايته ولم يعمل بنتيجة مرجوة ترضي أطراف النزاع ، مضى أولئك المحتجون من جند علي ﷺ يجمعون صفوفهم ويعلنون خروجهم عن علي ﷺ ، بل أعلنوا عدم ولائهم له وخلعهم البيعة من عنقه ، فعزلوه وقد جمعوا جموعهم

(٦) عبد الرحمن محمد المراكبي : قضية التكفير والحكم على المسلمين بين التطرف والاعتدال ط المؤسسة العلمية الحديثة للطباعة ١٩٩٤ ص١٣

بقرية من قرى الكوفة تسمى **حروراء** ، وكان عددهم أثني عشـــر ألــف مقاتل ، ثم التقى معهم علي ﷺ في جيوشه في واقعة النهران ، فقاتلـــهم قتالا شديدا فقضى عليهم جميعا ، ولم ينج منهم إلا أقل مـــن عشـرة ــ تسعة نفر ــ وقد انتشر هؤلاء النفر في أماكن مختلفة نشروا فيها المذهب الخارجي وقد سمو ا بعد ذلك بالإباضية .

قال الشهرستاني :- المحكمة هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر المحكمين واجتمعوا **بحروراء** مـــن ناحيـــة الكوفـــة ورأسهم **عبد الله الكواء** ، **وعتاب بن الاعـــر** ، **وعبـــد الله بـــن وهـــب الراسبي** ، **وعروة بن جرير** ، **ويزيد بن أبى عاصم المحاربي وحرقوس ابن زهير البجلي المعروف بذي الثدية** ، وكانوا يومئذ اثني عشر ألـــف رجل أهل صلاة وصيام ــ أعني يوم النهروان ــ وفيهم قال النبي ﷺ :

(تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامـــهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم) جمع ترقوة وهي العظم بين ثغرة النحر والعنق، فهم المارقة الذين قال فيهم ﷺ :

(سيخرج من ضئضئ ــ أصل ــ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهـــم ذو الثدية [٧]

وقد خرجت هذه الجماعة عن صفوف الإمام على أمرين:-

الأول :- أنهم خالفوا الأمة في وجوب اختيار الأئمة من قريش ، لقـــول النبي صلى الله عليه وسلم **(الأئمة من قريش)** وقد ورد هـــذا الحديـــث بطرق أخرى مختلفة تقربه من درجة المتواتر معنى ، وهؤلاء قد ذهبـــوا

---

(٧) الشهرستاني / الملل والنحل ــ مؤسسة الحلبي ج١ص ١١٥.

إلى أن الإمامة تجوز في غير قريش ، بل جعلوا اختيار الإمام من غير قريش أفضل ، بحجة ألا تكون له عصبية يرتكن إليها فيظلم ويطغى ، أما إذا لم تكن له عصبية فيسهل خلعه عن الإمامة إن حاد عن طريق الصواب وهؤلاء قد قاسوا هذا الأمر بالعقل ضاربين بنص قول النبي ﷺ عرض الحائط لأنهم أشد الناس استخداماً للقياس.

الثاني :- أنهم ضلوا بقولهم أن علياً ﷺ قد أخطأ في قبوله التحكيم ، وقالوا إنه قد حكم الرجال في كتاب الله ولا حكم إلا لله وقد كذبوا في ذلك على الإمام من وجهين:-

أ- أنهم هم الذين حملوه على قبول التحكيم ، وقد كان هو الذي رفض هذه الخديعة أول الأمر وهم الذين حملوه على هذا التحكيم .

ب- أن تحكيم الرجال المؤمنين جائز ولا غبار عليه ، والمؤمنون يحكمون فيما يعرض لهم من مشكلات ، فيستعينون على ذلك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ ، فنحن نقول حكم هؤلاء الرجال في هذه المشكلة بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ولا نقول حكم هؤلاء الرجال في كتاب الله وسنة رسول فشتان ما بين الاثنين [٨]

ويضيف أ.د / محمود مزروعة في كذب هؤلاء على الإمام علي في النقطة الخاصة بالتحكيم حيث يقول :-

" إنهم انقلبوا فقرروا أن قبول التحكيم كفر ، وهذا يعني أن الكفر من نصيبهم هم وليس للإمام فيه نصيب لأنه رفضه وهم قبلوه ." [٩]

---

(٨) أنظر المرجع السابق ج١ ص ١١٦ بتصرف .
(٩) أ.د.محمود مزروعة ـــ تاريخ الفرق الإسلامية ـــ دار المنار ١٩٩٩م ص٢٦٧.

كل هذه المغالطات أدت إلى ازدياد الفرقة وتضعضع القوى وتفرق الصفوف حتى انتهى بهم الأمر إلى المواجهة بالقتال فكانت معركة النهروان ، " فقاتلهم علي ﷺ مقاتلة شديدة بالنهروان ، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة ، وما قُتل من المسلمين إلا أقل من عشرة ، فانهزم اثنان إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل موزون باليمن وظهرت بدع الخوارج في هذه الحوض منهم وبقيت إلى اليوم [١٠]

وكان عبد الرحمن بن ملجم من الخوراج وكانت على يديه نهاية حياة الإمام علي بن أبى طالب ﷺ حيث قتله ، وكان من الطبيعي أن يؤدي قتل علي ﷺ إلى ضعف جماعته وتفرق شيعته واستقرار الأمر لمعاوية بعد أن بايعه **الحسن بن علي** ﷺ لحقن دماء المسلمين وعدم نشوب معارك جديدة مثل الجمل وصفين والنهروان ، وقد خطب **الحسن بن علي** ﷺ في الناس قائلاً :- " كانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتوالون من سالمت ، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه " [١١]

غير أن ذلك لم يكن لينهي دعوة المحكمة ، بل لعله كان مما زادهم شدة في دعواهم ودعوتهم الضالة تمسكاً بها ، ومضوا على مبادئهم يعلنون ألا حكم إلا لله من خلال وجهة نظرهم المزعومة وأن من خالفهم فهو مخطئ وأن عليهم أن يتصدوا لكل عدوان ينزل عليهم ، وهذا ما سنوضحه بإذن الله في نشأة الإباضية بصورة مفصله بموضعه .

(١٠) الشهرستاني / الملل والنحل ج١ ص١١٧
(١١) ابن قتيبة ـــ الإمامة والسياسة مؤسسة الحلبي ص١٤١

نشأة الإباضية .

تحدثنا عن قصة المحكمة فيما سبق ، وهؤلاء المحكمة ـ خصوصاً الذين نجوا بعد معركة **النهروان** ـ كان لهم أنصار وأتباع ناصروا معتقدهم ونشروه وأصبحت لهم قوة لا يستهان بها ، فقد أثاروا بسلوكهم وتحركاتهم غضب الخلفاء الأمويين فكان موقفهم صلباً لما تمسكوا به من خروج عن الخليفة وعن القاعدة الإسلامية العريضة التي خالفوها بتشددهم في نواحي عديدة كان أهمها تكفير الغير ، فكان هؤلاء المحكمة ملاحقين في كل موضع من ولاة الأمر يتعرضون للسجن حيناً وللقتل حيناً ولسواهما من ألوان التعذيب ، ورغم ذلك فقد استمروا على خروجهم على الحكم .

وقد عرفت هذه الجماعة بمسميات مختلفة كان آخرها مسمى الإباضية ، أما هم فقد أطلقوا على أنفسهم مسمى **(جماعة المسلمين)** كما سموا أنفسهم أيضاً **(أهل الحق والاستقامة)** وسموا أيضاً **(القعدة)** ؛ لأنهم زعموا أنهم آثروا القعود والمسالمة ، لكن شهرة مسمى الإباضية كان الأغلب والأشهر على جميع المسميات ، وقد سموا بذلك نسبة إلى **عبد الله بن إباض** وكانت نشأة هذه الفرقة يرجع إلى ما كان لها من موقف ضد التحكيم وما استتبعه من خلاف جوهري حول أسلوب تولي الخليفة بالانتخاب أو الوراثة وهل يكون من قريش أو من دونهما ؟

كما تدعي هذه الفرقة أنهم كان لهم أسلوب خاص في مجال الدعوة وضد التخفي والتقية ، ويعنون بذلك أنهم دون الخوارج الذين أشهروا سيوفهم ورماحهم ضد مخالفيهم ، وأن فرقة الإباضية ليسوا منهم ، فقد آثروا

أسلوب التقية وعدم الالتجاء إلى العنف إلا إذا وقع عليهم عون ، وهذا ما سنوضحه بإذن الله في باقي البحث عن مدى صلة الإباضية بالخوارج .

كما يدعي الإباضيون أن لديهم كتبا ألفوها في الفقه والحديث وأن منهم علماء ومحدثين وفقهاء أجلاء نشروا تلك المعتقدات في مختلف الأمصار فكان لهم أتباع و أنصار للمذهب ونشروه في عمان واليمن والحجاز والمغرب وخراسان فضلا عن مكان نشأتهم وهو البصرة .

ولكي تتضح الصورة عن نشأة الإباضية ينبغي أن نتحدث من خلال ما أوردوه في مصادرهم التاريخية عن نشأتهم وأصل دعاتهم الأوائل ، وهذا ما سنوضحه في موضعه ، وأيضا من مصادر تاريخية أخرى تخدم وجهات نظرهم في نشأتهم .

وهناك نوع ثالث من المصادر قد تحدث عن نشأة الإباضية ولمن تنسب وأهم فرقهم التي صاروا إليها ، وهذا النوع من المصادر يتجاهله الإباضيون لما فيه من انعكاس لصورة سيئة للإباضية ، ومن أمثال هذا النوع الأخير نذكر:-

الشهرستاني في " الملل والنحل "، قال :" **الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة ، وقيل: إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقا له في جميع أحواله وأقواله ، قال إن مخالفنا من أهل القبلة كفار غير مشركين** ." (١٢)

(١٢) الشهرستاني / الملل والنحل صد ١٣٤

أما الاشعري فقد ذكر في " المقالات" :- " أن من الخوارج : الإباضية ، وأن منهم فرقة الحفصية واليزيدية والحارثية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ."[١٣]

أما البغدادي فقد ذكر عنهم في "الفرق بين الفرق " :-

" أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن إباض ، وافترقت فيما بينها فرقاً ، يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة ــ يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة ــ براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسو مشركين ولا مؤمنين ولكنهم كفار ، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم ، وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض ، والذي استحلوه الخيل والسلاح أما الذهب والفضة فإنهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة .

ثم افترقت الإباضية فيما بينهم أربع فرق وهي الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها [١٤]

بداية الإباضية عن نشأتها الأولى .

ذكرنا فيما سبق أن الخارجين عن حكم علي‌ﷺ كان بسبب قبوله التحكيم، وقد أثار أمرُ هذا الخروج عليِّ بن أبي طالب ﷺ وقد حاول علي ﷺ أن يتداركه قبل استفحال الخلاف بينه وبنيهم فبعث إليهم عبد الله بن عباس ﷺ فقال : "ما نقمتم من الحكمين وقد قال الله ﷻ ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء٣٥. فكيف بأمة محمد ﷺ ؟

(١٣) أبو الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ــ دار النشر فرانز شتاينز .
(١٤) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ــ دار الآفاق الجديدة بيروت ص٨٢.

فقالت المحكمة : أما ما جعل الله حكمة إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه .

فقال ابن عباس ﷺ : فإن الله ﷻ يقول:

﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ المائدة ٩٥ .

فقالوا : أتجعل الحكم في الصيد والحرث وما يكون وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟

وقالوا له : اعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ، فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ، وقد حكمتم في أمر الله وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك كما دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة وقد قطع الله ﷻ الموادعة والاستفاضة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت سورة براءة إلا من اقر بالجزية .(١٥)

ونخلص من الحوار السابق بنقاط منها :-

أولاً :- أن الخلاف بين علي بن أبي طالب ﷺ وبين الخارجين عليه كان خلافاً كبيراً أثر بعد ذلك في نشأة فجوة عميقة بين كليهما مما ترتب عليه مواجهة عسكرية سُفكت فيها الدماء .

ثانياً :- أن المحكمة يرون أن علياً بن أبي طالب ﷺ بقبوله التحكيم قد خرج عن الشرع .

ثالثاً :- أما علي بن أبي طالب ﷺ فيرى أنه منقذ للشرع عندما قبل التحكيم .

(١٥) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٦ ط دار الكتاب العربي بتصرف .

رابعاً :- أن المحكمة كانوا يفهمون بعض نصوص القرآن فهماً خاصاً يؤيد موقفهم ، ولذلك زاد إصرارهم وثباتهم على ما اعتقدوه من تخطئته ومَنْ شايعه بقبولهم التحكيم .

خامساً :- أما الجانب الآخر فنرى أن علياً ومَنْ شايعه ثابتون على موقفهم بعد أن استدلوا بآيات من القرآن تؤيد موقفهم ، فثبتوا عليه وأصروا إصراراً ، ورغم كل ذلك فإننا نرى أن علياً قد حرص على مراجعة الخارجين عليه فمضى إليهم يحاورهم ويجادلهم حتى يقصر الطريق ويقرب وجهات النظر المختلفة ، فقال كرم الله وجهه :-

مَنْ زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتك يوم صفين ، قال : أنشدكم الله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم إنه أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ــ وذكر ما قال لهم ــ ثم قال لهم : قد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فإن حكم بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبينا فنحن عن حكمتهما براء ، قالوا : فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ ، فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم ؟ قال : ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند أخركم .

قيل : والخوارج يزعمون أنهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفراً منا وقد تبنا إلى الله كما إننا نبايعك وإلا فنحن مخالفون ، فبايعنا

علي ، وقال ادخلوا فلن نمكث ستة أشهر حتى نجني المال ـ ويسمى الكراع ـ ثم نخرج إلى عدونا ، وقد كذب الخوارج فيما زعموا .(١٦)

وتعددت أقوالهم ومناحيهم بالنسبة لعلي ابن أبي طالب ﷺ وقبوله التحكيم كما أخذوا إمضاء التحكيم وتعددت في ذلك أقوالهم ، لعل أصرحها قول عبد الله بن وهب الراسبي ـ لما بلغه أمر التحكيم ـ أنه قد قام إلى علي ﷺ مع أناس عرفوا بعد ذلك بالقراء ، فقال : اتق الله فإنك قد أعطيت العهد وأخذته منا ولنفنين أنفسنا لو التقينا بعدونا أو يفئ إلى أمر الله ، وإنا نراك قد ركبت إلى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل في الدنيا فانهض بنا إلى عدونا فلنحاكمه إلى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس .(١٧)

ومن جهة أخرى وثب إلى على بن أبي طالب رجلان يرجعانه وهما : زرعة بن البرج الطائي وحرقوص ابي زهير السعدى ، فقالا له : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال حرقوص : تب من خطيئتك وراجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال علي : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهودا ، وقد قال الله ﷻ :

﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾

فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه ، فقال علي : ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأي وقد نهيتكم ، فقال : زرعه يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لقاتلناك أطلب وجه الله تعالى ، فقال علي : بؤسا لك ما

(١٦) انظر المرجع السابق ج٣ ص١٦٦وانظر عمار طالبي ـ آراء الخوارج الكلامية ص٣٦.
(١٧) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة تحقيق طه محمد الزقيني ط مؤسسة الحلبي ص١١١.

أشقاك ، أني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح ، قال : وددت لو كان ذلــــك ، فخرجا من عنده يحكمان ، وخطب علي ﷺ ذات يوم فحكمت المحكمة في جانب المسجد فقال علي : الله أكبر كلمة حق أريد بها بــاطل إن ســكتوا ضممناهم وإن تكلموا حاججناهم وإن خرجوا علينا قاتلناهم .(١٨)

ويذكر أحد الإباضية في كتبهم أن علياً قد أخطأ بقبوله التحكيم وقد أوجب بهذا القبول الخروج عليه حيث قال :-

" لعمري لئن كانت الحكومة عدلاً وصواباً لقد أخطأ علي بسفكه الدمـاء ، ومعاوية هنا يصبح أولى بالعدل منه لكونه الداعــي إليــها ، وإن كــانت الحكومة خطأ وضلالاً فعلى الإمام علي أن يجتنبها ." (١٩)

ويعني بذلك أن الخروج على الإمام علي أمر محتوم أوجبه قبوله التحكيـم وأيضاً أوجبه عدم اعتراف الإمام بخطئه ، وأيضاً أوجبه التسبب في سفك الدماء للمسلمين ، وأيضاً أوجبه نشوب الفُرقة بين صفوف المسلمين .

هذه كلها وجهات نظر الإباضية في حال ما اعتقدوه عن قصة المحكمـــة ونشأة فرقتهم خصوصاً عند مبايعة عبد الله بن وهب أميراً لـــهم وخلـع علي بن أبي طالب من الإمارة وهذا ما سيتضح بإذن الله في موضعه .

أما موقف علي ابن أبي طالب ﷺ منهم فكان يراجعهم ويحـرص علـى انضمامهم ضمن صف المسلمين المقاتلين ، لما خرجوا بالشام على إمارة علي بن أبي طالب ﷺ فقام علي يخطبهم مرة بعد أخرى ويخبرهم قائلاً:

" الله أكبر كلمة حق يلتمس بها باطل أمــا إن لكـم عندنـا ثلاثـاً مـا صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اســمه ، ولا نمنعكـم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا . (٢٠)

---

(١٨) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٩.
(١٩) القلهاتي ــ الكشف والبيان تحقيق د سيد الكاشف ج١ عمان ١٩٨٠ص٢٣ .
(٢٠) الطبري تاريخ الأمم والملوك ط دار الفكر بيروت ج٢ص٤١ سنة ١٩٤٩ وانظـر ابـن الاثير الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٩ .